انجمن علمی مطالعات نهج البلاغه ایران
الجمعية العلمية لدراسات نهج البلاغة في ايران
دانشگاه پیام نور

فصلية علمية - محكمة نصف سنوية

دراسات حديثة في نهج البلاغة

- أدب المقاومة في نهج البلاغة ١
  ليلا قنبرى
- تحليل أسس السياسة العلوية (ع) ٨
  أكرم احمديان احمدآبادى/ محمد اخوان
- توثيق نهج البلاغة وتأريخه على ضوء المعايير الأدبية والبلاغية: دراسة تحليلية لأول بحث غربي ممنهج حول نهج البلاغة ١٧
  على حسن نيا
- حقوق المواطنة الإسلامية وفقا للتعاليم العلوية ٢٨
  كاظم منافي شرف آباد
- دراسة طبيعة السبّ و اللعن عند الإمام علي (ع) في نهج البلاغة ٤٠
  أكبر توحيدلو
- كيفية مواجهة الإمام علي (ع) مع المحاربين في عهد حكومته مع التأكيد على نصّ نهج البلاغة ٤٩
  نرگس السادات مبلغ

السنة الأولى، العدد الأول، خريف و شتاء ١٤٣٩(المتوالي١)
ISSN:2476-4671

فصليتان علميتان- محكمتان دراسات حديثة في نهج البلاغة. السنة الأولى، العدد الأول، خريف و شتاء ١٤٣٩(المتوالي١). من صفحة ٣٠ الى ٣٨

دراسة طبيعة السبّ و اللعن عند الإمام علي (ع) في نهج البلاغة

تأريخ الاستلام: ١٤٣٩/١/١٦ تأريخ القبول: ١٤٣٩/٣/٢٠

اكبر توحيدنو*

الملخص

لقد أفرد موضوع «السبُّ واللعن» مكانا له في أروقة تاريخ الإسلام، كما شكلت مادة دسمة دارت حولها صراعات كثيرة. يبدو في النظرة الأولى أنّ السب واللعن مرادفان، غير أنّ الإمعان في الجانب اللغوي للاثنين و وردهما في الآيات والأحاديث يظهر لنا ما يبعدهما عن البعض من فوارق. فعدم التمييز بين ما يحمله كل منهما من مفهوم قد أدى إلى ظهور شبهات مختلفة وتوجيه شتى أنواع التهم من ناحية مختلف أتباع الطوائف الإسلامية. هذا المقال ينوي النظر في ثنايا ما ورد في ذلك من الخطب والرسائل والحكم في نهج البلاغة في توجيه الشتائم إلى بعض الناس. ظهر لنا بعد دراسة النتائج أنّ السب واللعن مختلفان. ذهب علماء اللغة أنّ السب مرادف للشتم. لكن اللعن يحمل معنا مختلفا يعني الابتعاد عن الرحمة. فعلى غرار علم اللغة هناك فارقا بين الاثنين في القرآن. وهذا يدل على جواز استخدامه. أما السنة النبوية تنطوي على لعن المشركين والمنافقين وأعداء الرسالة وأهل الكتاب ومن أظهر العداء للمسلمين. و الأسلوب المتبع في تأليف هذا المقال هو الأسلوب المكتبي ودراسة الخطب والرسائل والحكم في نهج البلاغة.

الكلمات الرئيسية: السب، اللعن، نهج البلاغة، الإمام علي (ع).

* أستاذ مساعد بجامعة پيام‌نور (tohidlou53@yahoo.com).

المقدمة

يعد السب واللعن والاهانة، من الأخلاق الذميمة المنتشرة في الكثير من المجتمعات، وشهدها العرب في شبه الجزيرة في العصر الجاهلي و في صدر الإسلام. إنّ الإهانة تشكل أرضية ملائمة لانتشار الأخلاق الذميمة في المجتمعات، و ما يتبعها من الآثار و التداعيات، ومن الواضح أنّ الإلمام بتداعيات سلوك المرء يمكن أن تحول دون ظهور الكثير من الانحرافات، و أن يترك تأثيره الإيجابي في ذلك الأمر.

كان السبُّ عند بعض الطبقات الاجتماعية، ظاهرة اعتيادية، بل كان معيارا إيجابيا بينهم، فإذا أرادوا أن يجذبوا أطراف الحديث فيما بينهم، كان يرون الإهانات والتنابز بالألقاب الذميمة أمراً ممتعاً، وبلغ الأمر بهم درجة أنهم كانوا يرون ذكر المثالب مفخرة لهم.

إطار الموضوع

يعني السب واللعن استخدام المفردات المذمومة والبذيئة والمؤذية، ويراد بالسب الحديثُ عن القضايا المذمومة والمستهجنة باستخدام العبارات الصريحة، وإيراد المفردات السيئة والتي لا تليق بالمكانة الإنسانية، و يحمل السب مفهوما متسع النطاق ويتضمن كل أنواع التهم السيئة.

ينهى القرآن عن الإهانة نهيا شديدا حتى لو كان الآخر كافرا. يستنبط من بعض الروايات أنّ عددا من المؤمنين كانوا يسبّون أحيانا أصنام المشركين، و ذلك كردة فعل منهم على عمل المشركين، فنهاهم القرآن عن ذلك بصريح العبارة وأوجب عليهم احترام أسس الأدب حتى في مواجهة أكثر الأديان خرافة.

يقول الله تعالى في الذكر الحكيم: «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ» (الأنعام/ ١٠٨). ينقل الشيخ الطوسي عن الحسن البصري في سبب نزول الآية: كان المؤمنون يسبّون ما يعبده المشركون من دون الله، فكان المشركون يسبّون ما يعبده المؤمنون، فنهى الله المؤمنين عن سب آلهتهم لكيلا يسبّ الكفار إله المؤمنين، فكأن المؤمنين قد أشركوا من حيث لا يعلمون (الطبرسي، ١٤٠٦: ٤/ ٤٢١).

تأمر الروايات المسلمين بترك الإهانة، والاعتماد على منهاج المنطق، وعدم اللجوء إلى السب والاهانة في مواجهة عقائد المعارضين، كما روي عن النبي (ص): «إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره» (الشيخ المفيد، ٢٠٠٠: ١١٨). وورد في حديث آخر: «لا تسبّوا الرياح؛ فإنها مأمورة، ولا تسبّوا الجبال ولا الساعات، ولا الأيام ولا الليالي فتأثموا وترجع عليكم» (قمي، (الرضي،٢٠٠٦: ٢/ ٥٧٧). قال رسول الله (ص): «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر وحرمة ماله كحرمة دمه» (قمي، ١٩٩٣: ٤/ ٣٧٧).

سمع أمير المؤمنين (ع)رجلاً يشتم قنبر وقد رام أن يرد عليه فناداه أمير المؤمنين (ع): «مهلاً يا قنبر دع شاتمك مهاناً ترضي الرحمن وتسخط الشيطان، وتعاقب عدوك فوالذي فلق الحبة و برأ النسمة ما أرضى المؤمن ربه بمثل الحلم، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه» (أمالي، ٢٠٠٠: ١١٨). وجاء في رواية أخرى: «من سمع بفاحشة فأبداها كان كمن أتاها» (ابن أبي‌الحديد، ١٩٩٥: ٢٠/ ٢٧٣). عن الإمام موسى الكاظم(ع): «ما تسابّ اثنان إلا انحطّ الأعلى إلى مرتبة الأسفل» (الديلمي، ١٩٨٧: ٣٠٥).

كما روي أنه في يوم صفين سمع الإمام (ع)أن أصحابه يسبون أهل الشام فقال: «كَرِهْتُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا: لَعَّانِينَ، شَتَّامِينَ تَشْتِمُونَ، وَتَتَبَرَّءُونَ، وَلَكِنْ لَوْ وَصَفْتُمْ مَسَاوِئَ أَعْمَالِهِمْ فَقُلْتُمْ مِنْ سِيرَتِهِمْ كَذَا وَكَذَا، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ كَذَا وَكَذَا، كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ، وَ لَوْ قُلْتُمْ مَكَانَ لَعْنِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَبَرَاءَتِكُمْ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ احْقُنْ دِمَاءَهُمْ، وَدِمَاءَنَا» (الرضي، ١٣٦٨: ٣٠٤).

كما قال الإمام (ع) قبل مواجهة العدو يوم الصفين: «ولا تهيجوا النساء بأذى، وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم، فأنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول» (المصدر نفسه: ٣٥٢).

وَرُوِيَ أَنَّهُ (ع)كَانَ جَالِساً فِي أَصْحَابِهِ فَمَرَّتْ بِهِمُ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ فَرَمَقَهَا الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقَالَ(ع): «إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ وَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هِبَابِهَا فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيُلَامِسْ أَهْلَهُ فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَامْرَأَتِهِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ: قَاتَلَهُ اللَّهُ، كَافِراً مَا أَفْقَهَهُ، فَوَثَبَ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ (ع): رُوَيْداً إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ، أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ» (المصدر نفسه: ٥٢٠).

و هناك عددٌ كبير من الروايات التي تؤكد على الابتعاد عن السب وتوجيه الإهانة والشتم، لكن لو نظرنا إلى خطب الإمام علي (ع)ورسائله وحكمه في نهج البلاغة، نرأينا أحاديث تدلّ على ضرورة سب بعض المشركين والمنافقين وحتى أصحاب الإمام (ع)وأهل الكوفة، هذا ومنع أهل البيت (ع)أتباعهم من التفوه بالسب والإهانة؛ بين هذا وذاك، إنّ السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو هذا: لماذا تحدَّثوا أحيانا بعبارات تُعارِض أوامرهم الصريحة؟

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة التالية وهي:

ما هو السبب في ورود عبارات في نهج البلاغة تتضمن نوعا من الإهانة والشتم؟

هل تعد هذه الحالات من مصاديق السب والشتم، أم أنها مجرد لعن؟

سيلقي هذا البحث الضوء على بعض أحاديث الإمام علي (ع) كما ورد في خطبه ورسائله و حكمه، ويكشف نوع الخطاب الكامن فيها؛ هل هي تصنَّفُ ضمن الإهانة أم السب، أم أنها أحاديث قيلت في إطار العادات والتقاليد السائدة آنذاك، وهل يمكننا عدها معارضة للقرآن أم لا.

سوابق البحث

لم يدوّن في هذا المجال كتاب مستقل يعالج الأمر، غير أن هناك أبحاثا يمكن أن نعدّها مقدمة لهذا البحث، مثل كتاب

١. «مفهوم اللعن والسب في القرآن الكريم، المجمع العلمي لأهل البيت (ع)» فالكتاب من تأليف المجمع العلمي لأهل البيت (ع) وباللغة العربية ويتطرق إلى مفهوم السب واللعن، ومكوَّن من عدة فصول، ألقى الكاتب الضوء بداية على مفهوم السب واللعن، ومن ثم تطرق إلى سمات اللعن والملعون، ثم ركّز على دراسة اللعن مفهوميا وذلك في جانب المعتقدات. كما أولى اهتماما بآراء الخلفاء حول السب واللعن، وكذلك آراء أهل البيت (ع) في المجال ذاته. هذا الكتاب متوفر على موقع المجمع العلمي لأهل البيت (ع).

٢. مقدمة شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.إنّ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد من تأليف أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المعتزلي ت ٦٥٦ للهجرة، هو أكثر الشروح تفصيلا على نهج البلاغة، ويحظى بتأييد المسلمين كافة، هذا الكتاب مكوّن من ٢٠ جزءا، و يسير على ترتيب نهج البلاغة، إذ يبدأ بالخطب ثم بالرسائل وأخيرا بالكلمات القصيرة.

٣. ترجمة نهج البلاغة الفارسية لدشتي، يُعَدُّ محمد دشتي (ت٢٠٠١) من كبار العلماء المعاصرين، ذاع صيته بسبب الكتب التي نشرها في مجال نهج البلاغة وخاصة ترجمه نهج البلاغة، ومعجم نهج البلاغة، و مقدمات كتبها في مستهل كل خطبة ورسالة، وإلقاء نظرة عابرة على سيرة الشخصيات الواردة في الخطبة، و ذكرِ المناسبة التي قيلت فيها تلك الخطب، واتخاذ الإمام (ع)تلك المواقف، ويمكن إدراجها في إطار سوابق هذا البحث.

السب و مفهومه المفهوم اللغوي

السب والاهانة على أنواع، و يحمل كل منهما في الأدب العربي مفهوما خاصا، و تفيدنا المعاجم أنّ هذه المفردات: الهجو، والهجر، والسب، والشتم، والاهانة، والتفحش، والعار، والبذاءة، والسلاطة، وما شابهها، تشكل أنواعا للسب والاهانة. فالإهانة هي الإساءة نحو الآخر أكثر مما هو لازم (دهخدا، ١٩٤٦: ٣٥/١٢). بعبارة أخرى إذا ما تجاوزت السيئات حدها، يلجأ الشخص إلى السب. أما التفحش فيعني الهجاء، والسب يعني القول السيئ أو الإهانة.

قال الراغب: السب هو الشتم الوجيع (الاصفهاني، ١٩٩٧: ٢٢٥). و ذهب ابن أثير أنّ الإهانة تعني الشتم لا غير (ابن‌اثير، ١٩٨٨: ٤/ ٣٣٠). كما ذهب كل من الجوهري (الجوهري، ١٤١٦: ٤/ ٢١) والطريحي (الطريحي، ١٩٩٦: ٦/ ٣٠٩) وابن منظور (ابن منظور، ١٩٩٦: ١/ ٤٥٥) هذا المذهب عند الحديث عن مفهومها لغويا. يبدو أنّ علماء اللغة اعتبروها مرادفة للسب والشتم، غير أنّ اللعن يحمل مفهوما مختلفا، ويعني البعد عن الرحمة (المصدر نفسه) فلو راجت بين الناس تعني طلب الطرد وتحمل مفهوما مختلفا عن السب والشتم.

إنّ السب واللعن يختلفان لغويا كما يختلفان من ناحية المعنى، و يظهر هذا الاختلاف في القرآن الكريم واضحاً؛ فمفردة اللعن وردت في القرآن ٣٧ مرة ونسبت إلى الله تعالى، ونقلت على لسان الناس مرة واحدة، فهذا العدد من الورود يدل على جواز التفوّه بها، غير أنّ السب ورد في القرآن مرة واحدة، ونهي عن الإهانة، وهذا يدل على عدم جواز السب والشتم.

أما في السنة النبوية نرى العشرات من الأحاديث، والتي تشتمل على لعن المشركين، والمنافقين، وأعداء الرسالة، وأهل الكتاب، ومن أبدوا العداء للمسلمين (بسيوني زغلول، ١٤١٠: ٦/ ٥٩٥). كما ورد في التواريخ «جهِّزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عنه» (الطبري، ١٣٨٧: ٣/ ٢٢٦؛ شهرستاني، ١٤١٠: ١/ ١٢٩).

مصاديق اللعن والملعونين في القرآن والروايات

يظهر لنا عند دراسة آيات القرآن الكريم أنّ الملعونين أربع فئات: إبليس، و هو أول الملعونين، واستحق اللعن الإلهي كما ورد في الذكر الحكيم: (وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) (ص/ ٧٨). والكفار، كما ورد في القرآن الكريم: (إِنَّ اللَّـهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا) (الأحزاب/ ٦٤).أهل الكتاب: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) (مائدة/ ٨٧). والمسلمون، وهم على عدة أقسام: الكذابين(النور/ ٧) والظالمين (هود/ ١٨) ومن آذى النبي (ص) (الأحزاب/ ٥٧) ومن اتهم البريئات بالزنا (النور/ ٢٣) والمنافقين (التوبة/ ٦٨) والقتلة (النساء/ ٩٣) والفاسدين (محمد/ ٢٢) وقاطعي الأرحام. (محمد/ ٢٢).

دراسة نص الخطب والرسائل والحكم الواردة في نهج البلاغة

بعد أن خضنا في التعريفات وألقينا الضوء على الخطوط العريضة للنص، واتضح لنا ما يفرق بين السب واللعن، ننتقل إلى صلب الموضوع وهو دراسة أحاديث الإمام علي (ع)في نهج البلاغة حول موضوع السب و اللعن.لقد وردت عبارات في ٤٢ خطبة ورسالة وحكمة في نهج البلاغة، تدلّ على أنّ الإمام لعن البعض وشتمهم.

١. مخاطبة الخلفاء

إنها الخطبة الشهيرة بالشقشقية، إذ وجّه نقده للخليفة الثاني بالقول: «يَغْلُظُ كَلْمُهَا وَيَخْشُنُ مَسُّهَا وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا وَالِاعْتِذَارُ مِنْهَا فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ». ثم يقول عن عثمان: «إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ»(الرضي، ١٣٦٨: ٣٠).

كما هو واضح من العبارات فإنّ الإمام عبّر عن انتقاده لهما في لباس التشبيه و بمختلف الأمثلة، وكان يرمي من هذا إلقاء الضوء على معنويات وأخلاق الخلفاء الثلاثة، فحقق ما يصبو إليه مستعينا بمختلف الأساليب التعبيرية.

٢. مخاطبة أهل البصرة

يذم الإمام (ع)في الخطبة الـ ١٣ أهل البصرة بعد وقعة الجمل، ويلومهم عل جهلهم: «كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ، رَغَا فَأَجَبْتُمْ، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ. أَخْلاَقُكُمْ دِقَاقٌ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِيْنُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ، المُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، وَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ» (الرضي، ١٣٦٨: ٣٦).

ألقى الإمام (ع)الخطبة الـ ١٤ وذم فيها أهل البصرة قبل وقعة الجمل ولام جهلهم وسفاهتهم: «خَفَّتْ عُقُولُكُمْ وسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ وأُكْلَةٌ لآكِلٍ وفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ».

وجاءت الخطبة ١٥٦ قبل تحقيق النصر في وقعة الجمل عام ٣٦ والخطاب موجّه لأهل البصرة: «وَأَمَّا فُلاَنَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ وَضِغْنٌ غَلاَ فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ»(المصدر نفسه: ٢٠٤).

ألقيت الخطب الثلاثة قبل يوم الجمل، إذ وقف أهل البصرة بوجه إمام زمانهم دعما لفئة ضالة، فانتصر الإمام (ع)عليهم بعد حرب دامية، ووجه لهم انتقاده في الخطب الثلاثة.

٣. لعن أشعث بن قيس

الخطاب في الخطبة الـ ١٩ موجّه لأشعث بن قيس، وذلك بعد أن احتج الأشعث على الإمام، و ردّ الإمام (ع)عليه قائلا: «عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللهِ وَلَعْنَةُ اللاَّعِنِينَ! حَائِكٌ ابْنُ حَائِكٍ! مُنَافِقٌ ابْنُ كَافِرٍ! وَاللهِ لَقَدْ أَسَرَكَ الكُفْرُ مَرَّةً وَالاسْلاَمُ أُخْرَى!» (المصدر نفسه: ٤٢).

كان الأشعث بن قيس من المنافقين والخوارج، وكان قد تولّى ولاية أذربيجان في عهد عثمان بن عفان، عندما تولّى الإمام (ع)الخلافة، أبقاه والياً على أذربيجان وأرمينية. نعب الأشعث في موقعة صفين دورا بارزا سواء في الحرب أو في مفاوضات التحكيم، وكان من الذين أرغموا الإمام على قبول التحكيم، واختيار أبي موسى الأشعري حَكَماً لأهالي العراق (الدينوري، ١٩٩٩: ١٧١). من هنا تعتبره الروايات الشيعية «خائنا مخضرما». قال الأشعث للإمام: نو نم تقبل بالتحكيم، فلا يحارب إلى جانبك شخص واحد من قبيلتي (الطبري، ١٣٨٧: ٤/ ٥٦٩-٥٧٢).

٤. مخاطبة أهل البصرة

يخاطب الإمام (ع)أهل الكوفة في الخطب ٢٧ و٢٩ و٣٤ و٣٩ و٦٩ و٧١ و١٠٨ و١٢١ و١٣١ و١٧٥ و١٨٠ و٢٣٨ يذمهم فيها، لكن لا يوجد فيها السب.

ألقى الإمام الخطبة ٢٧ عام ٣٨هـ. ق عندما وصله خبر هجوم جيش معاوية على مدينة الأنبار، وتساهُلِ أهل الكوفة وتراخيهم، إذ قال: «يَاأَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلاَرِجَالَ! حُلُومُ الأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبَّاتِ الحِجَالِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً -وَالله- جَرَّتْ نَدَماً، وَأَعقَبَتْ سَدَماً قَاتَلَكُمُ اللهُ! لَقَدْ ملأتم قَلْبِي قَيْحاً، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً، وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالعِصْيَانِ وَالخذْلاَن» (الرضي، ١٣٦٨: ٥٢).

جاءت الخطبة ٢٩ بعدما شنّ ضحاك بن قيس عام ٣٧ هجوما على قافلة الحجاج وسلبهم أموالهم: « أَيُّهَا النَّاسُ، الْمجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كَلاَمُكُم يُوهِي الصُّمَّ الصِّلاَبَ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ الأَعْدَاءَ!، أَعَانِيلُ بِأَضَانِيَ دِفَاعَ ذِي الدَّيْنِ المَطُولِ، لاَ يَمنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ!» (المصدر نفسه: ٥٤).

كما ألقى الإمام الخطبة ٣٤ بعد إنزال الهزيمة بالخوارج عام ٣٧، بهدف استنفار الناس إلى أهل الشام في نخيلة الكوفة: «أُفٍّ لَكُمْ!... فَأَنْتُمْ لاَ تَعْقِلُونَ... مَا أَنْتُمْ إِلاَّ كَإِبِلٍ ضَاَّ رُعَاتُهَا...» (المصدر نفسه: ٥٨).

أما الخطبة ٣٩ خطبها عند علمه بغزوة النعمان بن بشير صاحب معاوية لعين التمر؛ تلك الأراضي المعمورة الواقعة غربي الفرات وقصور أهل الكوفة عام ٣٩ للهجرة: «لاَ أَبَا لَكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ؟ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ، وَلاَ حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ» (المصدر نفسه: ٦٤).

أما الخطبة ٦٩ خطبها عام ٣٩ للهجرة عندما علم بغزوة النعمان بن بشير صاحب معاوية لعين التمر وذم فيها أهل الكوفة: « أَغْلَقَ كُلُّ رَجُل مِنْكُمْ بَابَهُ، وَانْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا، وَالضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا، الذَّلِيلُ وَاللهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ» (المصدر نفسه: ٨٢).

خطب الإمام خطبة رقم ٧١ عام ٣٧ للهجرة بعدما انصاعوا نخدع عمرو بن العاص ومعاوية، فيخاطبهم محذرا: « وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ يَكْذِبُ قَاتَلَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ» (المصدر نفسه: ٨٤).

أما الخطبة رقم ١٠٨ يتحدث فيها عن الأحداث الصعبة المستقبلية: «مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلاَ أَرْوَاحٍ وَأَرْوَاحاً بِلاَ أَشْبَاحٍ وَنُسَّاكاً بِلاَ صَلاَحٍ وَتُجَّاراً بِلاَ أَرْبَاحٍ وَأَيْقَاظاً نُوَّماً وَشُهُوداً غُيَّباً وَنَاظِرَةً عَمْيَاءَ وَسَامِعَةً صَمَّاءَ وَنَاطِقَةً بَكْمَاءَ رَايَةُ ضَلاَلٍ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ قَائِمٌ عَلَى الضِّلَّةِ» (المصدر نفسه: ١٤٠).

أما في الخطبة ١٢١؛ بعد أن قام إليه رجل من أصحابه فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فلم ندر أي الأمرين أرشد؛ صفق (ع) ثم قال: «أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ وَكَلَّتِ النَّزْعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ» (المصدر نفسه: ١٦٢).

خطب الإمام (ع) خطبة رقم ١٣١ على المنبر وتُعرَفُ بالخطبة المنبرية: «أَيَّتُهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ أَظْأَرُكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ الْأَسَدِ» (المصدر نفسه: ١٧٤).

و ذهب الشارحون لخطبة ١٧٥ أنّ الإمام (ع)كان مُسنداً إلى عمود مسجد المدينة وقال: « أَيُّهَا النَّاسُ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ وَالتَّارِكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ» (المصدر نفسه: ٢٣٤).

و خطب الإمام (ع) خطبة رقم ١٨٠ عام ٣٧ بهدف تقديم العون لمحمد بن أبي بكر في مصر وفي ذم العاصين من أصحابه: « لَا أَبَا لِغَيْرِكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمُ الْمَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ أَ وَلَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاةَ الطَّغَامَ... وَمُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النَّابِغَةِ» (المصدر نفسه: ٢٤٤).

و ألقى خطبة رقم ٢٣٨ في شأن الحكمين وذم أهل الشام: « جُفَاةٌ طَغَامٌ وَعَبِيدٌ أَقْزَامٌ جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ» (المصدر نفسه: ٣٣٦).

مدح الإمام علي (ع)أهل الكوفة قبل وقعة الجمل وبعدها عندما انتصر على العدو؛ لهذا كان السواد الأعظم من أهل الكوفة داعمين للإمام قلبا وقالبا؛ كما لا يغيب عن بالنا بأنّ أناساً من أهالي الكوفة فضّل عدم الخروج إلى الحرب، فَتُرِكَ الإمامُ وحيدا يخوضها؛ وهم قاتلوا إلى جانبه أهلَ الجمل والخوارج ويوم الصفين، لا ننسى أنّه في وقعة الجمل حضر ٤٠٠ مقاتلا من المدينة والمدن الأخرى إلى البصرة وقدّموا العون للإمام (ع)، لكن كان أهل الكوفة يشكّلون الأغلبية في الحروب الأخرى التي خاضها الإمام (البلاذري، ٢٠٠٠: ٢/ ١٥٨؛ الطبري، ١٣٨٧: ٤/ ٤٧٧-٤٧٩؛ المسعودي، ١٤٠٩: ٣/ ١٠٣-١٠٥). لكن السؤال المطروح هنا يدور حول ذم الإمام (ع)إياهم و الرسالة التي يحملها الذم في خطبه.

لقد اختار الإمام (ع) تلك الكلمات والخطب كآخر حلٍّ لتلك الفئة، فالذين لا تحرّك الأحداث حميتهم، ويتقبلون برحاب الصدر شتى أنواع الشتائم والإساءات، أراد الإمام باتخاذه هذا الأسلوب في الكلام إثارتهم لمواجهة العدو، هذا إذا بقي في ذاتهم أقل المشاعر التي تحرّك ساكنا.

إنّ استخدام هذا السبيل يأتي بثماره في مواجهة بعض الفئات، كما يؤكد علم النفس على هذا الأمر. أراد الإمام أن يقوم بعمل يثير فيهم الحمية، من هنا نرى أنّ استخدام هذا الأسلوب في التعبير يأتي متناسقا مع قضية البلاغة في الكلام.

هذا ويستخدم الإمام هذا الأسلوب بعدما استخدم أساليب أخرى ومنها شحذ الهمم والحديث عن القيم المعنوية والمادية مثل الجهاد في سبيل الله.فهذه الأحاديث قد جرت على لسان من يَئِسَ مِن أتباعه ولا يرى سبيلا سوى التفوه بتلك المفردات العنيفة، بغية استيقاظهم من سُباتهم.

٥. مخاطبة طلحة والزبير

أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل فقال: « لَا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ يَرْكَبُ الصَّعْبَ» (الرضي، ١٣٦٨: ٥٤).

و قال (ع)في شأن طلحة والزبير و في البيعة له عام ٣٦ قُبيلَ الحرب: «وَإِنَّهَا لَفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فِيهَا الْحَمَأُ وَالْحُمَّةُ وَالشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ» (المصدر نفسه: ١٨٠).

أسلم طلحة بن عبيد الله على يد أبي بكر. وكان من المهاجرين (ابن هشام، لاتا: ١/ ٢٥١ -٢٥٢؛ المسعودى، ١٤٠٩: ٢/ ٢٧٧؛ ابن الاثير الجزرى، ١٤٠٩: ٢/ ٤٦٨). كان طلحة من ضمن الذين طوّقوا بيت عثمان عام ٣٥. واتُّهِمَ بقتل الخليفة الثالث (البلاذرى، ٢٠٠٠: ٥/ ٥٦١). و يقال أنّ طلحة يُعَدُّ من العناصر الرئيسية المحرِّضة على قتل الخليفة الثالث (اليعقوبي، لاتا: ٢/ ١٧٥). ثار على الإمام علي (ع)في وقعة الجمل (ابن خياط، ١٤١٥: ١٠٨). واعتبره الإمام (ع) أنّه أمكر الناس (ابن أعثم الكوفي، ١٤١١: ٢/ ٤٦٣-٤٦٤). قتل طلحة وترك بعد وفاته ثروة هائلة، وفي يد خازنه ألف ألف درهم ومائتا ألف درهم، وقُوِّمَت أصوله وعقاره بثلاثين ألف ألف درهم (ابن سعد، ١٤١٠: ٣/ ١٦٦ -١٦٧).

لقد زار طلحة والزبير الإمامَ، فقالا: إنه قد ثلما بعد رسول الله جفوة فأشرِكنا في أمرك، فقال: « أنتما شريكاي في القوة والاستقامة وعوناي على العجز والأود»، فقالا: « إنا نريد العمرة، فأذِّن لنا في الخروج»، فقال علي لبعض أصحابه: «والله ما أرادا العمرة، ولكنهما أرادا الغدرة» (اليعقوبي، لاتا: ٢/ ١٨٠).

٦.مخاطبة مصقلة بن هبيرة

في عام ٣٧ ابتاع مصقلة سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين (ع)وأعتقهم، فلما طالبه المالَ استنكف وهرب إلى الشام، فقال له الإمام(ع): « قَبَّحَ اَللَّهُ مَصْقَلَةَ فَعَالَ فِعْلَ اَلسَّادَاتِ وفَرَّ فِرَارَ اَلْعَبِيدِ» (الرضي، ١٣٦٨: ٦٦).

كان مصقلة بن هبيرة عامل الإمام (ع)على أحد مدن فارس وكان قد بذل أموال بيت المال إلى أقاربه في فترة حكمه، بلغ الإمامَ هذا الأمر، فنهاه عن فعله، وطالبه الأموال، وصل مصقلة إلى البصرة واقترح دفع أقل من نصف أموال بيت المال، فرفض الإمام، فانضم إلى معاوية (الطبري، ١٣٨٧: ٥/ ١٢٩).

٧.مخاطبة معاوية

قال الإمام(ع) في آخر أيام حياته الشريفة، في ذم أهل الكوفة وتحذيرهم: «أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ فَاقْتُلُوهُ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ» (الرضي، ١٣٦٨: ٧٦).

و بعد حرب صفين قال في مدينة الكوفة عام ٣٧: «وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ» (المصدر نفسه: ٣٠٠).

و كتب إلى معاوية في أرض الصفين عام ٣٦ قبل بدايته: « مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ

مِجَنٌّ فَاقْعَسْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ وَخُذْ أُهْبَةَ الْحِسَابِ وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ وَلَا تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالدَّمِ وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ وَوُلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ بِغَيْرِ قَدَمِ سَابِقٍ وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِياً فِي غِرَّةِ الْأُمْنِيَّةِ مُخْتَلِفَ الْعَلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ» (المصدر نفسه: ٣٤٨).

و كتب أيضاً (ع)إلى معاوية جوابا عن كتاب منه إليه في صحراء صفين عام ٣٧: « وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ»(المصدر نفسه: ٣٥٤).

و كتب أيضاً (ع)إلى معاوية جوابا له بعد موقعة الجمل عام ٣٦: «لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ»(الرضي، ١٣٦٨: ٣٦٤). و كتب أيضاً (ع) له: «وَأَرْدَيْتَ جِيلًا مِنَ النَّاسِ كَثِيراً خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ وَتَتَلَاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ... فاتق الله يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ وَجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ وَالْآخِرَةَ قَرِيبَةٌ مِنْكَ وَالسَّلَامُ» (المصدر نفسه: ٣٨٢).

و أرسل(ع) إلى معاوية عام ٣٦ للهجرة قبل وقعة الصفين: « فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ وَالْحَيْرَةِ الْمُتَّبَعَةِ مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ وَاطِّرَاحِ الْوَثَائِقِ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ طِلْبَةٌ» (المصدر نفسه: ٣٨٦).

و من كتاب له (ع)إلى معاوية جواباً لتهديده بالهجوم العسكري: «وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ الْأَغْلَفَ الْقَلْبِ الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ»(الرضي، ١٣٦٨: ٤٣٠).

اعتبر الإمام (ع)معاوية من الطلقاء و ممن أسلموا في فتح مكة (ابن‌عساكر، ١٤٢١: ١/ ٣٤٩). ودعا رسول الله أن لا يشبع بطنه (البلاذرى، ٢٠٠٠: ٤/ ١٢٥). عيّنه عمر عاملا للأردن (اليعقوبي، لاتا: ٢/ ٨٦؛ الطبرى، ١٣٨٧: ٤/ ٤٤٤). و لمعاوية مساوئ لا تعد ولا تحصى، لا نقطة إيجابية في سمات معاوية الظاهرية والأخلاقية والدينية، فكل ما فيه سلبيات ليست إلا.

٨.حول مروان بن الحكم

الخطبة ٧٣؛ قَالُوا: أُخِذَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ أَسِيراً يَوْمَ الْجَمَلِ فَاسْتَشْفَعَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ (ع)إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع)فَكَلَّمَاهُ فِيهِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ فَقَالَا لَهُ يُبَايِعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ (ع): «أَ وَلَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ وَهُوَ أَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ وَسَتَلْقَى الْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ»(الرضي، ١٣٦٨: ٨٦).

كان أبو العاص بن أمية من الذين آذوا الرسول وهو والد مروان، وكان الرسول قد طرده(البلاذرى، ٢٠٠٠: ٤/ ١٨٥). لعن الرسول مروان وأباه ونفاهما من المدينة. عندما تولى عثمان الخلافة، مهد الأرضية لعودة مروان وأبيه إلى المدينة، وأصبح من خواصه وتزوج ابنته (ابن‌عساكر، ١٤٢١: ١/ ٣٤٠). بعدما تولى الإمام علي (ع) أمر المسلمين، مع أنه بايع الإمام، لكنه صار من الناكثين، وتوجه إلى البصرة في وقعة الجمل، فشهد الحرب، لكن قُبِضَ عليه، توجه مروان إلى معاوية، وشهد صفين مدافعا عن معاوية، كما ولاه معاوية ولاية البحرين لفترة من الزمن.

٩. خطابه إلى النساء

خطب (ع)بعد فراغه من حرب الجمل في مسجد البصرة عام ٣٦ و قال: «مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ نَوَاقِصُ الْعُقُولِ فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعْنَ فِي الْمُنْكَرِ»(الرضي، ١٣٦٨: ٩٠).

و قد أوصى (ع) عسكره قبل لقاء العدو بصفين بالاهتمام بالنساء: «فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ».

ومن وصية له (ع)للحسن(ع)كتبها إليه عند انصرافه من صفين عام ٣٨: « وَإِيَّاكَ وَمُشَوَّرَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ وَعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ وَاكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَا يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ وَلَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَوَزَ نَفْسَهَا فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ وَلَا تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا وَلَا تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا (المصدر نفسه: ٨٦).

و قال الإمام (ع)على سبيل ضرب المثل: « الْمَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَا وَشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهَا» (المصدر نفسه: ٤٨٢).

المرأة والرجل متساويان في الإسلام في الجوهرة الإنسانية، لكن العقل عقلان: «العقل المعيار» و هو الذي يقود الإنسان إلى الكمال والقرب الإلهي، فـ«العقل ما عبد به الرحمان» (الكليني الرازى، ١٩٩٦: ١/ ٥٠). هذا هو العقال للأهواء النفسية. و«العقل المُحاسِبُ» وهو تلك الآلية التي تُستَخدَمُ في ترتيب أوراق المعاش. يتقدم الرجل على المرأة في هذا المجال عادة، لكنه ليس معيارا للكمال بل يمثل نوعا من تقسيم العمل الطبيعي، وفي المقابل فإنّ المرأة تتمتع بالجانب العاطفي الكبير مقارنة بالرجل.

يفيدنا علم النفس أنّ للرجال والنساء ذكاءاً يختلف عن البعض، فللرجال ذكاء يتسم برؤية متمركزة، وللنساء ذكاءُ حواسٍ ورؤيةٌ مفتوحة. هذا الأمر يترك تأثيره على حكم الرجل والمرأة. فلا تخفى عن منظار الرجال شاردة ولا واردة، بينما تفكر المرأة بإنزال أشد العقوبات، ذلك إنّ شدتها في الغضب تساوي سرعتها في التعبير عن الحب (مجد، ٢٠٠٢: ١٠١ و٩٧).

أما صفة نواقص الإيمان فإنها إشارة إلى ترك الصلاة والصوم عند العادة الشهرية، فإنها لا تؤدّي الفرائض في هذه الأيام انصياعا لأوامر الله. و عبارة نواقص الحظوظ تشير إلى نصيب المرأة المالي في بعض

الأشكال مثل الإرث؛ فإن نصيبها أقل من الرجل، و يتمّ التعويض عن النقص بشكل آخر، أما الشهادة فإنّ شهادة امرأتين تعادل شهادة رجل في القتل والزنا وهو ملائم نسيكولوجية المرأة (المصدر نفسه).

۱۰.خطابه إلى أهل الشام

و يخطب الإمام (ع) عام ۳۷ للهجرة في جنوده تحفيزاً لهم: « وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وَانْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ الطَّغَامُ وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ» (الرضي، ۱۳۶۸: ۱۴۰).فلا تتضمن الخطبة النسبَّ والشتم.

۱۱. خطابه في بعض جنوده

و من كلام له (ع)في بعض أيام صفين: « وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِنَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ الضِّبَابِ» (المصدر نفسه: ۱۶۴).فلا سب في هذه الخطبة.

۱۲.مخطابة الخوارج

خطب الإمام قبل وقعة النهروان عام ۳۷ رافضا عقائدهم: «ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ وضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ» (المصدر نفسه: ۱۷۰).

و وصف فئة انضموا إلى الخوارج في خطبة اذ ۱۸۱: « بُعْداً لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ» (المصدر نفسه: ۲۴۴).

أما الخوارج فهم فئة من المسلمين خرجوا على الإمام (ع)في وقعة الصفين و قضية التحكيم بعد رفعهم القرآن على الرماح وإصرارهم للرجوع إلى القرآن، ثم أثاروا البلبلة، فأشعلوا نيران النهروان، وبعد تلقي الهزيمة في النهروان، شكّل مَن تَبَقّى من هذه الفئة الحجر الأساس لتيار اجتماعي و سياسي و عسكري و عقائدي خاص بهم وفقا لآرائهم، ولكن طال عليهم الأمد فانقسموا وتفرّقوا (البلاذرى، ۲۰۰۰: ۳/۱۱۲-۱۱۱).

بايع الخوارج في العاشر من شوال عبد الله بن وهب أميراً لهم، و اتفقوا فيما بينهم على الخروج من الكوفة و خوض حرب النهروان (الطبري، ۱۳۸۷: ۵/ ۷۵-۷۴؛ الجرزى، ۱۳۸۵: ۳/ ۳۳۶-۳۳۵). فقتلوا في طريقهم الأبرياء، وأنهى الإمام الجدل معهم، وخاض الحرب مرغما، وقتل في يوم النهروان بعام ۳۸ أغلبهم (البلاذرى، ۲۰۰۰: ۵/ ۱۶۹؛ اليعقوبي، لاتا: ۲/ ۱۹۳؛ الطبري، ۱۳۸۷: ۵/ ۹۲-۸۰؛ تاريخ بغداد، ۱/ ۵۲۸).

وصفاتهم أغلبها مذمومة؛ مثل حفظِ القرآن وقراءتِه بلا تفكر، و العبادةِ الكثيرة الخالية من حقيقة الإيمان، و التظاهر بالزهد، وضيق النظر، و الجهل بالسنة النبوية وأحكام الدين، و التشكيك في المعتقدات (ابوشباب، ۱۴۲۶: ۶۱-۵۹).

۱۳.لعن مغيرة بن الأخنس

وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان، فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان: « أنا أكفيكه»، فقال أمير المؤمنين (ع) للمغيرة: « يَابْنَ اللَّعِينِ الأَبْتَرِ، وَالشَّجَرَةِ الَّتِي لاَ أَصْلَ لَهَا وَلاَ فَرْعَ، أَنْتَ تَكْفِينِي، فَوَاللهِ مَا أَعَزَّ اللهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَلاَ قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُه، اخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللهُ نَوَاكَ، ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَك، فَلاَ أَبْقَى اللهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ!» (الرضي، ۱۳۶۸: ۱۳۵).

هو المغيرة بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة الثقفي حليف بني زهرة و إنما قال له أمير المؤمنين (ع) يا ابن اللعين لأن الأخنس بن شريق كان من أكابر المنافقين ذكره أصحاب الحديث كلهم في المؤلفة قلوبهم الذين أسلموا يوم الفتح بألسنتهم دون قلوبهم و أعطاه رسول الله (ص) مائة إبل من غنائم حنين يتألف بها قلبه، و ابنه أبو الحكم بن الأخنس قتله أمير المؤمنين (ع) يوم أحد كافرا في الحرب و هو أخو المغيرة هذا و الحقد الذي في قلب المغيرة عليه من هذه الجهة. إنما قال له: يا ابن الأبتر لأن من كان عقبة ضالا خبيثا فهو كمن لا عقب له بل من لا عقب له خير منه (ابن أبي الحديد، ۱۹۹۵: ۸/ ۳۰۱).

۱۴.ذم برج بن مسهر الطائي

قال (ع) ردّاً على برج بن مسهر الطائي، وقد قال له: «لا حكم إلاّ لله» وكان من الخوارج: «اسْكُتْ قَبَحَكَ اللهُ يَا أَثْرَمُ» (الرضي، ۱۳۶۸: ۲۵۴).

۱۵.ذم عاصم بن زياد

لبس عاصم بن زياد عباءة وتخلى عن الدنيا فقال له الإمام (ع): « يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ... قَالَ وَيْحَكَ إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ» (المصدر نفسه: ۳۰۶).

تَخَلَّى الإمام عن نصحه لكنه لم يسبه، بل طالبه باتخاذ الاعتدال والوسطية في قضايا الدنيا والآخرة (ابن أبي الحديد، ۱۹۹۵: ۱۰/ ۱۶۰).

۱۶. خطابه في زياد بن أبيه

له (ع) رسالة إلى زياد بن أبيه يقول فيها: « وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ وَتَطْمَعُ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالْأَرْمَلَةَ». (الرضي، ۱۳۶۸: ۳۵۶).

كان زياد بن أبيه عاملا للإمام علي (ع)ومعاوية، ولّاه الإمامُ بلاد اصطخر بأرض فارس بعد صلح الإمام حسن (ع) و رفض مبايعة معاوية بداية الأمر، لكنه بوساطة من المغيرة بن شعبة سار إلى معاوية، ودعاه معاوية «زياد بن أبى سفيان» استنادا إلى كلام نقله عن أبيه، كان زياد عنيفا جدا، وبالرغم من قتاله إلى جانب الإمام علي (ع)في الصفين والتظاهر بالتشيع، في فترة حكمه على البصرة والكوفة، تراجع عن عقيدته واتخذ العنف والقسوة سبيلا في التعامل مع الشيعة، فأنقى الكثير منهم في السجن وقتل بعضهم، ومنهم حجر بن عدي وأصحابه (الدينورى، ۱۹۹۹: ۲۱۹).

١٧. خطابه في عمرو بن العاص

نه (ع) خطاب إلى عمرو العاص عام ٣٩ للهجرة بعد الصفين: « فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا امْرِئٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضِّرْغَامِ يَلُوذُ بِمَخَالِبِهِ وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيسَتِهِ فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ» (الرضي، ١٣٦٨: ٣٨٨).

كان إسلامه في صفر سنة ثمان قبل الفتح بستة أشهر، فلما قتل عثمان سار إلى معاوية وعاضده، وشهد معه صفين، ومقامه فيها مشهور. بدأ التحكيمُ بخدعة من عمرو العاص وانتهت بخدعة منه(الجرزى، ١٤٠٩: ٤/ ٢٤٤؛ بصرى، ١٤١٠: ٤/ ٢٥٤).

الرسم الإيضاحي للخطب و الرسائل ومضامينها

الرقم	الخطبة/الرسالة	المخاطب	نوع الذم
١	خ ٣	الخلفاء	انه تشبيه ونيس سبا
٢	خ ١٣	أهل البصرة	الذم
٣	خ ١٤	أهل البصرة	الذم
٤	خ ١٩	الأشعث	اللعن
٥	خ ٢٧	أهل الكوفة	انه تشبيه ونيس سبا
٦	خ ٢٩	أهل الكوفة	انه تشبيه ونيس سبا
٧	خ ٣١	طلحة	انه تشبيه ونيس سبا
٨	خ ٣٤	أهل الكوفة	انه تشبيه ونيس سبا
٩	خ ٣٩	أهل الكوفة	انه تشبيه ونيس سبا
١٠	خ ٤٤	مصقلة	انه ذم ونيس سبا
١١	خ ٥٧	معاوية	انه تشبيه ونيس سبا
١٢	خ ٦٩	أهل الكوفة	انه تشبيه ونيس سبا
١٣	خ ٧١	أهل الكوفة	اللعن
١٤	خ ٧٣	مروان الحكم	انه تشبيه ونيس سبا
١٥	خ ٨٠	النساء	انه تشبيه ونيس سبا
١٦	خ ١٠٧	أهل الشام	انه تشبيه ونيس سبا
١٧	خ ١٠٨	أهل الكوفة	انه تشبيه ونيس سبا
١٨	خ ١٢١	أهل الكوفة	انه تشبيه ونيس سبا
١٩	خ ١٢٣	جنوده	انه تشبيه ونيس سبا
٢٠	خ ١٢٧	الخوارج	انه تشبيه ونيس سبا
٢١	خ ١٣١	أهل الكوفة	انه تشبيه ونيس سبا
٢٢	خ ١٣٥	مغيرة الأخنس	اللعن
٢٣	خ ١٣٧	طلحة	انه تشبيه ونيس سبا
٢٤	خ ١٥٦	أهل البصرة	انه تشبيه ونيس سبا
٢٥	خ ١٧٥	أهل الكوفة	انه تشبيه ونيس سبا
٢٦	خ ١٨٠	أهل الكوفة	انه تشبيه ونيس سبا
٢٧	خ ١٨١	الخوارج	انه تشبيه ونيس سبا
٢٨	خ ١٨٤	البرج بن مسهر	اللعن
٢٩	خ ١٩٣	ابن الكواء	اللعن
٣٠	خ ٢٠٠	معاوية	انه تشبيه ونيس سبا
٣١	خ ٢٠٩	علاء بن زياد	انه تشبيه ونيس سبا
٣٢	ر ١٠	معاوية	انه تشبيه ونيس سبا
٣٣	ر ١٤	النساء	انه تشبيه ونيس سبا
٣٤	ر ١٧	معاوية	انه تشبيه ونيس سبا
٣٥	ر ٢١	زياد بن أبيه	انه تشبيه ونيس سبا
٣٦	ر ٢٨	معاوية	انه تشبيه ونيس سبا
٣٧	ر ٣١	النساء	انه تشبيه ونيس سبا
٣٨	ر ٣٢	معاوية	انه تشبيه ونيس سبا
٣٩	ر ٣٧	معاوية	انه تشبيه ونيس سبا
٤٠	ر ٣٩	عمرو العاص	انه تشبيه ونيس سبا
٤١	ر ٦٤	معاوية	انه تشبيه ونيس سبا
٤٢	خ ٢٣٨	النساء	انه تشبيه ونيس سبا

الخاتمة

بعدما خضنا ثنايا الخطب والرسائل والحِكَم أعلاه، ظهر لنا النتيجة التالية: هناك فرق بين السب واللعن، وقد ذهب علماء اللغة أنهما ليسا مرادفين، لكن للّعن مفهوم مختلف، و يعني الابتعاد عن الرحمة، و يظهر هذا الاختلاف في القرآن، أما مفردة اللعن وردت في القرآن ٣٨ مرة، ولعن الله تعالى فئات مثل إبليس وأتباعه لأفكارهم وسلوكم، فاستحقوا العذاب، وهذا يدل على جواز استخدامه من منظور الله تعالى في القرآن. أما مفردة السب فقد وردت في القرآن مرة واحدة، ونهى الله تعالى الناس عن شتم أعداء الله.

أما في السنة النبوية نرى هناك العشرات من الأحاديث للنبي الأكرم، تتضمن لعن المشركين والمنافقين وأعداء الرسالة وأهل الكتاب والذين عادوا المسلمين كثيرا، هذا الأمر يدل على جواز اللعن والشتم.

فكما رأينا لا يسب الإمام (ع)أي شخص، لكن هناك مَن لعنهم الله، وهم الأشعث بن قيس وعبد الله بن الكواء، والبرج بن مسهر الطائي، ومغيرة بن الأخنس، كما لعن الإمام أهل الكوفة، لأنهم اتهموه بالكذب، كما وجّه الكلام للخلفاء وأهل البصرة و الكوفة ١١ مرة، وإلى طلحة مرتين، وإلى مصقلة بن هبيرة ومعاوية ٨ مرات، ومروان بن الحكم والنساء ٤ مرات، وأهل الشام وجنوده، وإلى الخوارج مرتين، وإلى علاء بن زياد وزياد بن أبيه وعمرو العاص. ففي كل تلك القضايا لم يسب الإمام شخصا ما، كما لم يلعن أحدا ما، بل عرّف الإمام واقعهم الحقيقي للناس، وفضح ممارساتهم. في الواقع أظهر واقع سلوكهم، لأصحابه، كي يعلموا كيفية القيام بالعمل الديني الصحيح.

واجه الإمام (ع)في عهد خلافته سلوكيات منحرفة كثيرة، كان بإمكان كل منها أن تتحول إلى انحراف كبير، واضطر الإمام (ع)، أن يقابل الانحرافات بقوة وصرامة، ففي بعض الأحيان كانت تلك الانحرافات تشكل تيارا مهما، على غرار انحراف الخوارج والشبهات التي ألقاها بعضهم في حرب الجمل والصفين والنهروان، هذا وكان مصدر الانحرافات أشخاص، منهم من ناصر الإمام مثل الأشعث بن قيس وزياد بن أبيه، ومنهم من اتخذ موقف المعارض من الإمام مثل معاوية وعمرو بن العاص. كشف الإمام (ع)بكلامه البليغ وجوههم الحقيقي للناس.

المصادر

- *القرآن الكريم*.
- ابن أبي الحديد، عبدالحميد بن هبة الله (۱۹۹۵). *شرح نهج‌البلاغة*. تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن أثير، محمد بن مبارک (۱۹۸۸). *النهايه في غريب الحديث و الاثر*. محقق: محمود محمد طناحي. قم: مؤسسه مطبوعاتي اسماعيليان.
- ابن أعثم الكوفي، ابومحمد احمد (۱۴۱۱). *الفتوح*. تحقيق علي شيري. بيروت: دارالأضواء. الطبعة الاولي.
- ابن الأثير الجزري، ابو الحسن عزالدين (۱۴۰۹). *أسد الغابة في معرفة الصحابة*. بيروت: دار الفكر.
- ابن خياط، ابوعمرو خليفه بن خياط ليثي عصفري (۱۴۱۵). *تاريخ خليفه بن خياط*. تحقيق فواز. بيروت: دار الكتب العلميه. الطبعة الاولي.
- ابن سعد، محمد هاشمي بصري (۱۴۱۰). *الطبقات الكبري*. تحقيق محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الاولي.
- ابن عساكر (۱۴۲۱). *تاريخ مدينة دمشق*. بيروت: طبع علي شيري.
- ابن قتيبه، عبدالله (۲۰۰۹). *المعارف*. تحقيق ثروت عكاشه. القاهره: لانا.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (۱۹۹۶). *لسان*
- ابن هشام، عبدالملک (لاتا). *السيرة النبوية*. تحقيق مصطفي السقا و ابراهيم الابياري و عبد الحفيظ شلبي. بيروت: دار المعرفة.
- ابوشباب، احمد عوض (۱۴۲۶). *الخوارج: تاريخهم، فرقهم، و عقائدهم*. بيروت: لانا.
- الاصفهاني، راغب (۱۹۹۷). *معجم مفردات الفاظ قرآن‌الكريم*. تحقيق: نديم مرعشلي. طهران: انتشارات ناصر خسرو. الطبعة الثانية.
- بسيوني زغلول، اعداد ابو هاجر محمد السعيد بن موسوعه (۱۴۱۰).*اطراف* الحديث النبوي الشريف. بيروت: عالم التراث.
- البلاذري، احمد بن يحيي (۲۰۰۰). *انساب الاشراف*. دمشق: طبع محمود فردوس العظم.
- الجزري، ابن الأثير علي بن محمد (۱۳۸۵). *الكامل في التاريخ*.بيروت: دار صادر.
- جوهري، اسماعيل بن حماد (۱۴۱۶). الصحاح، تاج اللغة و صحاح العربية. محقق: احمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين.
- دهخدا، علي‌اكبر (۱۹۴۶). *لغت‌نامه*. تحت اشراف محمد معين. انتشارات بانک ملي.
- الديلمي، حسن بن محمد (۱۹۸۷). *أعلام الدين في صفات المؤمنين*. محقق: مؤسسة آل البيت (ع)لاحياء التراث. قم: مؤسسه آل البيت (ع)لاحياء التراث.
- الدينوري، احمد بن داود (۱۹۹۹). *اخبار الطوال*. قم: منشورات الرضي.
- الرضي، الشريف(۱۳۸۶) *نهج البلاغة*، ترجمه: محمد دشتي، قم، هادى مجد، الطبعة الأولى.
- الزركلي، خير الدين (۱۹۹۹). *الأعلام*. بيروت: دار صادر.
- الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم. (۱۴۱۰). *الملل و النحل*. تصحيح: احمد فهمي محمد. بيروت: دارالكتب العلميه.
- الشيخ المفيد، محمد بن نعمان (۲۰۰۰). *أمالي*. قم: جامعه مدرسين حوزه علميه قم.
- الطبرسي، ابوالفضل بن حسن (۱۴۰۶). *مجمع البيان في تفسير القرآن*. تهران: انتشارات ناصرخسرو. الطبعة الثانية.
- الطبري، محمد بن جرير (۱۳۸۷). *تاريخ الطبري (تاريخ الرسل و الملوک و الامم)*. مقدمة محمد ابوالفضل ابراهيم. بيروت: دار التراث. الطبعة الثانية.
- الطريحي، فخر الدين بن محمد (۱۹۹۶). *مجمع البحرين*. تحقيق: حسيني اشكوري. تهران: المكتبة المرتضوية.
- قمي، الشيخ الصدوق (۱۹۹۳). *من لا يحضره الفقيه*. قم: جامعه مدرسين حوزه علميه قم.
- الكليني الرازي، محمد بن يعقوب (۱۹۹۶). *الكافي*. بيروت: دار احياء التراث.
- مجد، محمد (۲۰۰۲). *روان‌شناسي زن و مرد؛ انسان در دو جلوه*. ويراسته: مجيد موحدخواه. تهران: مؤسسه فرهنگي انتشاراتي مكيال. الطبعة الثانية.
- المسعودي، علي بن حسين (۱۴۰۹). *تاريخ المسعودي (مروج الذهب و معادن الجوهر)*. محقق: يوسف اسعد داغر. قم: مؤسسه دار الهجرة.
- اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب (لاتا). *تاريخ اليعقوبي*. واضح الكاتب العباسي. بيروت: دار صادر.